مجلة مدارات سياسية
EISSN: 2710 - 8341 ISSN: 2588 - 1825
المجلد (03)/ العدد: (01)، (2019)، ص 09 - 30

"الحراك الأمازيغي" في المغرب العربي؛ نبْشٌ في الهويّة في ظُلْمة الطائفيّة

بحث في سياقات الظّاهرة وأهدافها

Le mouvement amazigh au Maghreb Exhumé dans l'identité dans l'obscurité du sectarisme: Recherche dans les contextes et objectifs du phénomène

مصباح الشيباني، مركز الدّراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، (تونس)

Centre d'études et de recherches économique et sociales, (Tunis)

تاريخ الإستلام: 2019/01/17 تاريخ قبول النشر: 2019/02/26 تاريخ النشر: 2019/03/19

الملخّص

لا يمكن فهم أسباب إعادة طرح "مسألة الأقليات" في منطقتنا العربية والنّبش في خصائص تميّزها الهووي الدّيني أو اللغوي أو الإثني، ومعرفة أهدافها خارج إطار سياقاتها التاريخية والجغرافية. فطرح "القضيّة الأمازيغيّة" في المغرب العربي من قبل البعض من حين إلى آخر مرتبط شديد الارتباط بالرّاهن العربي الذي يتميز بكثرة الأزمات والاضطرابات.

الكلمات المفتاحية: الحراك الأمازيغي ـ الهوية ـ الطائفية ـ الأقليات ـ السّياقات التاريخيّة.

Résumé

Il n'est pas possible de comprendre les raisons de réintroduire la question des minorités dans notre région arabe et l'exhumation dans les caractéristiques qui distinguent l'identité religieuse, linguistique ou ethnique ne peuvent être comprises et leurs objectifs en dehors de leurs contextes historiques et géographiques. La tentative de certains de soulever la question amazighe au Maghreb est étroitement liée au présent arabe, qui se caractérise par l'abondance de crises et de troubles.

Les mots clés:Le mouvement amazigh- Identité-Sectarisme- Minorité- Contexte historique.

المؤلف المرسل: مصباح الشيباني، **الإيميل**:chibani.mosbah@gmail.com

1. مقدمة:

تعيش منطقنا العربية اليوم، سجالاً سياسيًا كبيرًا حول "مسألة الأقليات" تؤكّد وجود تحديات حقيقية أمامها في علاقة بمقوّمات هويّة شعوبها، سواء في مستوى وحدة جغرافيّتها الإقليميّة أو القوميّة. ولفهم مبرّرات إعادة طرح هذه القضيّة وأهدافها، وأسباب وضعها ضمن دوائر البحث من حين إلى آخر من قبل بعض السيّاسيين والمفكّرين، ينبغي علينا معرفة السّياقات الإقليمية والدوليّة الجديدة التي من خلالها تكتسب دلالاتها الفعلية، لأنّ معاودة النّبش في مثل هذه القضايا المعقّدة اليوم، تحت عناوين متعدّدة ـ ثقافية وحقوقية وإنسانية ـ مرتبطة شديدة الارتباط بالرّاهن العربي "الانتكاسوي" الذي يتميّز بكثرة الأزمات والاضطرابات السّياسية والتوتّرات الاجتماعية الدّاخلية. فقد زادت مستويات تدويل قضايانا وشؤوننا العربيّة الداخليّة، خاصة بعد الحراك الشعبي الذي شهدته المنطقة منذ عام 2011، التي لم تعرف مثيلاً لها منذ الاستقلال دولها في النّصف الثاني من القرن العشرين.

ضمن هذا الإطار العربي العام، يمكن فهم مسوّغات إعادة طرح "المسألة الأمازيغية" في منطقنا المغاربيّة باعتبارها لم تأت من فراغ، بل تتنزّل ضمن سياقات محلية وإقليميّة ودولية متغيّرة. فمهما كانت وضعية "الأمازيغ" (البربر) متدنيّة ماديا ومهمّشة اجتماعيا مثلها مثل بقية المكوّنات الإثنيّة والمذهبيّة الأخرى في المجتمع، فإنّ أزمة المواطنة والمشاركة الجماعية أو الاندماج في مؤسّسات الدولة وفي إدارة الشّأن العام في مجتمعاتنا المغاربيّة لم تكن قضيّة جديدة أو خاصّة، بل هي قضيّة تاريخية وأنثربولوجية وحضاريّة عامّة. وعلى الرّغم من التنّوع الإثني لسكان هذه المنطقة، فإنّها لم تعد تتشكّل من قبائل أو مجموعات عرقية أو مذهبية متفرّقة ومتصارعة، أو دون أن تخضع إلى سلطة حكومات وطنيّة مشتركة وتديرها مؤسّسات الدّولة الحديثة حتى ننظر إليها على أنّها مازالت تمثّل "شعوبا أولية" متفرّدة في هوّياته ومتصارعة فيما بينها.

نحن في حاجة أكيدة إلى إعادة النّظر في الإطار التصوري العام لطرح مسألة الأقليات في منطقتنا المغاربية ضمن سياقاتها المكانية والتاريخيّة المحدّدين، ووفق رؤية نقديّة تعالج هذا المفهوم المجرّد بوصفه يمثّل إشكالية ابستيميّة ومنهجيّة في الوقت نفسه. فمن خلال المقاربة العلميّة وحدها نستطيع أن نفهم أسباب إعادة إحياء هذه القضية والنّبش فيها، أي إعادة الأسئلة حول ذواتنا وحول العالم الذي نعيش. فإذا كانت تصوراتنا لماضينا غير دقيقة ومشكوك فيها، فإنّ إدراكنا لحاضرنا واستشراف مستقبلنا سوف يكون أيضًا غير سليم.

2. في مفهوم الأقليّة

باعتبار أنّ جميع المصطلحات والمفاهيم التي نتداولها في كتاباتنا وحواراتنا هي عبارة عن *بؤر للتفكير والتحليل والتنظير*"[1]، فينبغي علينا أن ندقّق النّظر في معانيها قبل توظيفها أو تبنّيها في بحوثنا ودراساتنا العلمية، لكي نعرف إن كانت دلالاتها الاصطلاحيّة ومعانيها تتناسب مع دقّة الوقائع والظّواهر الموصوفة أم لا. وتصدق

هذه القاعدة المنهجية بالنّسبة إلى العديد من المفاهيم أو المصطلحات التي يستخدمها علماء الاجتماع والأنثربولوجيا، والتي غالبا ما يتمّ نقلها من قبل البعض دون القيام بعمليّة تدقيق فيها، خاصّة وأنّها *ليست جميعها مفاهيم علمية ومحايدة أو ليست كلّها "عبارات تقنية" صرفة، بل لها في أغلب الأحيان دلالات أيديولوجية*"[2]. ويعتبر مصطلح "الأقلية" من المفاهيم السياسيّة الملتبسة الذي لا يوجد حوله اجماع، نظرا إلى الاختلافات بين زوايا النّظر وبين مقارباته ـ الأنثربولوجية والسّوسيولوجية والقانونية ـ وتوظيفاته البحثية من ناحية، واختلافات بين توظيفاته السّياسية والأيديولوجية في سياقات استخداماته المختلفة وأهدافها من ناحية ثانية.

فكيف نصف مجموعة بشرية بالأقليّة؟

يعتبر مفهوم "الأقلية" (Minority) من المفاهيم والمصطلحات السّياسية الحديثة نسبيًا، حيث أصبح متداولاً على المستوى الدولي وأخذ معناه السّياسي والقانوني بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدّة.

ورد تعريف "الأقلية" في "الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية" على أنّها كلّ جماعة من الأفراد الذين يتميّزون عن بقية أفراد المجتمع عرقيا أو قوميا أو دينيا أو لغويا، وهم يعانون من نقص نسبي في القوة؛ ومن ثمة يخضعون إلى بعض أنواع الاستعباد والاضطهاد والمعاملة التّمييزية"[3]. وقدّمت الموسوعة البريطانية الجديدة التعريف التّالي:" الأقلية هي مجموعة متميزة ثقافيا أو إثنيا أو عرقيا تعيش ضمن مجموعة أكبر. وهذا المصطلح عندما يستخدم لوصف مثل هذه المجموعة يحمل داخله شبكة من الآثار السياسية والاجتماعية"[4].

ويعرّف "لويس ويرث" (Lewis Wirth) "الأقلية" على أنّها جماعة من النّاس تنفصل عن بقية أفراد المجتمع بصورة ما، نتيجة خصائص عضوية أو ثقافية تعيش في مجتمعها في ظل معاملة مختلفة غير متساوية مع بقية أفراد المجتمع. ومن ثم، ترى هذه الجماعة نفسها عرضة للتّفرقة(La discrimination)"[5]. أما عالم الاجتماع والأنثربولوجي البريطاني "أرجون أبادوراي" (Arjun Appadurai) في كتابه "الخشية من الأعداد الصغيرة: دراسة في جغرافية الغضب" فقد عرّف "الأقليات" بأنّها "مقولة اجتماعية وديمغرافية حديثة العهد، وهي تفعّل اليوم مخاوف حول الحقوق وحول المواطنة والانتماء ومبدأ الانتماء الأصلي وحول الاستحقاقات التي تمنحها الدولة"[6].

أما الكاتب المصري "محمد عمارة" فقد ذكر بأنّ "مصطلح الأقلية في استخداماتنا الثقافية والاجتماعية الحديثة والمعاصرة، مصطلح وافد من المفاهيم الغربية التي وفدت إلى واقعنا الثقافي والاجتماعي منذ الاحتكاك بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية في العصر الحديث. لذلك، فهو مصطلح مُحمّل بالمعاني والضلال (العنصرية والإثنية والعرقية) التي ارتبط بها في الثقافة الغربية"[7]. فالأقليّة الإثنية بهذا المفهوم الغربي، بحسب الكاتب نفسه، ليست مجرّد أقلية عدديّة، ولا هي بالأقلية السّياسية، وإنّما هي أقليّة لها "هوية ثقافية مختلفة عن الهوية الثقافية لأغلبية المجتمع الذي تعيش فيه، وهويتها الثقافية هذه عادة ما تتطور في اتجاه متميّز أو مختلف عن الهويّة الغالبة على

أغلبية المجتمع الذي تعيش فيه. ولهذا السّبب، رفض أقباط مصر ـ وهم أقلية عدديّة ـ إطلاق مصطلح "الأقليّة بهذا المفهوم الغربي عليهم"[8].

إنّ مفهوم "الأقليّة"، في معناه الإصطلاحي، هو مفهوم سياسي ومعاصر من المفاهيم "المهاجرة" والوافدة إلينا من الغرب، حيث لم نعرفه في تاريخنا العربي إلا بمعناه اللّغوي، وفي مستوى دلالته الكميّة والعدديّة، أي الأقلية العدديّة في مقابل الأكثريّة العدديّة كما أنّ ."الطّائفة" هي مكوّن من مكوّنات كلّ المجتمعات الإنسانية بما فيها الأمّة العربية. ولهذا، ينبغي علينا التّمييز بين الأقليات الإثنية والدّينية باعتبارها جماعات وطوائف مكوّنة للمجتمع، وبين "الطائفية"[9] كنزعة تفكيكيّة لوحدة الشّعوب والدّول.

فمن النّادر جدّا اليوم، أن نجد مجموعة بشريّة أو دولة أو أمّة أحادية العِرق أو الدّين أو اللّغة أو الثّقافة، فأغلب أمم العالم تتكوّن من طوائف وإثنيات ومجموعات بشرية متعدّدة اللّهجات[10] والأديان والمذاهب اندمجت كلّها وانصهرت في مجتمعات واحدة ولم تعد ذات شخصية إثنيّة أو دينيّة منغلقة عن نفسها، بل أصبحت تكوّن جميعها أممًا وشعوبًا ذات كيانات هويّاتية وثقافية متعدّد ولكنّها موحّدة سياسيا. ولئن بقيت هذه المسألة مسكوتًا عنها في الدّول الغربية لأنّها تهدّد وحدتها وتجانسها الهوياتي، فإنّها كثيرًا ما تكون موضوع إثارة واستثمار سياسي والعمل على تحويلها إلى "*هوّيات مفترسة*"[11] عندما تكون جغرافيتها إحدى بلدان العالم الثّالث، لاسيما في البلدان العربية والإسلامية. لذلك، انتقد الكاتب الأمريكي "ستيوارت كوفمان"(Stuart Kauffman) [12] التحليلات الغربية التي قدّمت الحروب البلقانية بصفتها "حروبا عرقية"، مؤكّدا أنّ الأسباب العديدة والمعقّدة التي أدّت إلى المواجهات الدّامية بين الأطراف المتصارعة حيث لا يقوم ما يسميه بـ "الوعي العرقي" أو الدّيني إلا دورًا ثانويًا، ولا يحرّك الأحداث، بل تحرّكها مصالح مختلفة وخاصة. وكانت هذه النّزاعات، بالنّسبة إلينا، سببًا مباشرًا في هزائمنا عبر التّاريخ القديم والحديث، لكن بعضنا مازال لم يستوعب هذا الدّرس التاريخي، ولم يستوعب أنّ تأسيس المواطنة في مجتمعاتنا، تقتضي تنشئة الأفراد والمجموعات على احترام قواعد العيش المشترك، والتعبير عن هذه الكينونة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا.

3 الحراك الأمازيغي في شمال أفريقيا وإشكالية الهويّة

نعتقد أنّ المنهج التّاريخي هو الأنسب والأكثر وجاهة لتحليل ظاهرة الأقليّات؛ فسوف يمكّننا هذا المنهج من دراسة هذه الظاهرة في منطقتنا العربيّة والإسلامية في ضوء تكوّنها في علاقتها بأزمة الدّولة القُطريّة (دولة سايكس ـ بيكو)، وبدور المشروع الاستعماري الغربي في إنتاجها واستخدامها كورقة ضغط وابتزاز للأنظمة العربيّة كلّما اقتضت الحاجة لذلك. كما نؤكّد أنّ المنهج التاريخي في هذه الدّراسة سوف يمكّننا من الإمساك بمحدّدات هذه الظّاهرة ويجنّبنا الوقوع في المقاربة السّطحية والمعالجة التجزيئيّة لها، لأنّه إذا لم نتمكّن من الوعي بتاريخ تكوّنها وأسباب تجدّدها سوف نظلّ نعيش "متاهة الحاضر"[13] ونعيد إنتاجها في المستقبل.

لقد كان الفتح الإسلامي لمنطقة شمال أفريقيا مرحلة تاريخية فاصلة ونوعية في تحقيق اندماج مختلف مكوّناتها الاجتماعية والدينية، وفي تحقيق وحدتها واستقرارها على الأرض. إذ إنّه مع الإسلام "امتزج الدين بالوطنية امتزاجا كاملا، بحيث لا يمكن الفصل بينهما؛ فقد ساهم الإسلام في توحّد سكان بلاد المغرب (شمال أفريقيا) وفي اندماجهم، لأنّه كان انتماءً متعاليًا على جميع الخصوصيات المحلية، بينما ثبّت في نفوسهم انتماء أكبر إلى الأمة الواسعة"[14]، وأعطى في المنطقة المغاربية كلّها "شرعية للفكرة الوطنية، وقوّاها بثقله الرّوحي والرّمزي والتاريخي، كما سمح باستيعاب الرّسالة الواردة من المشرق، من دون إلغاء التّراثين: الأوروبي والأفريقي"[15]. ومنذ الفتح الإسلامي تحقّقت ثلاث نتائج مهمّة في توحيد هويّة سكّان منطقة شمال أفريقيا وهي: انتشار اللّغة العربية، والاقتداء بالعادات والقيم العربية الإسلامية واندماج العرب (الشّرقيين) مع السكّان المحليين(المغاربة) بشكل نهائي، حتى أنّه لم تعد مسألة عروبة سكان المنطقة وإسلامهم محل شكّ أو نزاع، بل أصبحت هذه الثّنائية ـ العروبة والإسلام ـ تشكّل المحدّدات الأساسيّة لهويّة شعوب المغرب العربي وأعمدة انتماءاتها الثقافية والحضارية.

يذكر المستشرق الفرنسي"غابريل كامب" (Gabriel Camps) [16] في إحدى مؤلّفاته أنّ اللّغة البربرية التي كان لها من قبل ذلك الانتشار الواسع قد صارت بمضي القرون إلى تراجع أمام اللغة العربية، لكن هذا التّعريب اللغوي، الذي ساعد عليه دخول الإسلام إلى شمال أفريقيا والصّحراء، قد صاحبه ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي تعريب اجتماعي وثقافي أدّى إلى تذويب حقيقي لغالبيّة سكان الدّول المغاربية. ولقد كان تذويبًا هائلاً إلى درجة أنّ سكان بعض هذه البلدان(تونس وليبيا) أصبح السّواد الأعظم منهم يقولون ويعتقدون أنّهم عرب؛ فهم لذلك يُعدّون من العرب. فلم تعد توجد إثنيات اجتماعية خالصة وذات أصول تاريخية متفرّدة بين العرب والأمازيغ في المغرب العربي، بل لقد انصهرت مع بعضها بفعل عوامل تاريخيّة وثقافية وسياسيّة مختلفة أهمّها تمّت عبر الهجرة والفتوحات، فانتهت إلى تكوين مجتمعات ذات هوية وطنية وقومية مشتركة وجامعة منذ قرون.

يبدو أنّ ما جعل اللقاء بين العرب والأمازيغ لقاء متأزّمًا وعنيفًا في بعض أطواره التاريخيّة، بحسب أغلب الباحثين، يعود إلى سلوك الفاتحين المسلمين العرب من بني أميّة في شمال أفريقيا. وقد ذكرت عديد المصادر التاريخية "أنّ أهم ما تمّ من فتوحات في شمال أفريقيا كان في عهد الدّولة الأموية المعروفة بتعصبها العرقي وقلة اهتمامها بتطبيق المبادئ الإسلامية سواء في الحرب أو في السلم[17]. وبمجرد انتهاء فترة الفتوحات وسقوط سلطة بني أمية في جزء كبير من شمال أفريقيا الأمازيغية بسبب ثورات الخوارج، تأسّست عديد الممالك المغربية الإسلامية منذ القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن الميلادي). وبذلك أصبح الدّين الإسلامي هو الأساس الأيديولوجي المعتمد في تكوين دول وإمارات وطنية، وغدا المنبّه الرئيسي لوعي وطني سياسي مع شعور بالانتماء إلى الأمّة الإسلامية بأكملها"[18].

إنّ علاقة الفاتحين العرب المسلمين بسكان المغرب (البربر) تميّزت منذ قرون بالانسجام والتّلاؤم والانصهار عبر العقيدة الدينية وإطارها اللغوي والثقافي العربي الشامل. وقد كتب العديد من المؤرّخين والمستشرقين وعلماء

الأنثربولوجيا[19] حول مظاهر هذا الانصهار والاندماج بين العرب والبربر. فقد أشار المؤرّخ العُماني "سعيد بن عبدالله الدّارودي[20] بأنّ "الحركة الأمازيغية" واهِمة جدًّا إذا ما ظنّت أنّ العداء السّافر للمشرق العربي واللّغة العربية والحضارة العربية الإسلامية سيؤدي بالمغرب إلى القطيعة مع موروثه الذي جاء به الإسلام. وباستطاعة أصحاب النّزعة البربرية أن يعادوا العروبة بكل الوسائل، وأن يقطعوا كل ما يمُتّ للعربية وأهلها بصلة في كتاباتهم ومحاضراتهم وندواتهم واجتماعاتهم، ولكن لن يستطيعوا أن يقتلعوا من تراب المغرب العربي ما تعرّقت فيه جذور الأخوّة الواحدة ما بين العرب الفاتحين والعرب الأمازيغ.

إذًا، توفّرت ثلاثة أسباب، على الأقل، ساهمت في تعرّب سكان شمال أفريقيا واندماجهم في المنطقة العربية وهي: الدّين واللّغة والتّزاوج. لقد كان الدين أسبق إلى التحكم في مصر البربر، فاعتنقوا الإسلام عن شوق وقناعة، وأحبّوه من أعماق قلوبهم وأخلصوا تعاليمه أشدّ الاخلاص، ثم أحبّوا معه، ومن أجله كل من صحبه من مقوّمات، حتى كان البربري يرى أن الأسْهار إلى العربي والتقرّب منه إنّما هو شرف كبير له"[21]. لذلك، "ما تعب العرب الأوّلون في نشر العربية بينهم، بل كان البربر هم السّاعين إلى حفظها والمسارعين إلى تعمِيمها، حتى أصبحت بعد قليل أو كثير هي وحْدها اللّغة الرّسمية، وأنّها لغة الدّولة والشّعب"[22].

لا يمكن أن تتأسّس هويّة أيّة أمّة أو أيّ شعب في عالمنا المعاصر على الفروق اللّغوية وحدها، خاصّة لما تكون هذه اللّغة ليست الوحيدة ولم تعد هي النّاقل الرّئيسي لثقافة المجتمع والمعبّرة عن لسانه، أي لا يمكن أن تكون اللّغة مؤشّرا وحيداً للانتماء المواطني الجامع بعد ظهور الدّولة الحديثة القائمة على التعدّدية اللّسانيّة. لقد كانت اللّغة مجرّد طريقة، وليست الطريقة الوحيدة للتّمييز بين المجتمعات الثقافية؛ فيمكن لأيّ مجتمع أن يشكّل شعبًا واحدًا، على الرّغم من الاختلافات الجغرافية والإثنية والدّينية بين مكّوناته طالما أنّها أصبحت متساوية أمام القانون وتقيم في أرض واحدة وتعتمد أساليب وعادات وقيم ثقافية مشتركة في تفاعلاتها اليوميّة.

كما أنّ محدّدات هويّة الشّعوب والأمم هي نتاج تفاعلات حضارية خلال مساراتها التاريخيّة، وليست مسألة اختيارية يمكن أن يتبرأ منها فرد أو مجموعة أو حتى نظام سياسي أو قوى اجتماعية، أو أن تلغيها مؤسّسات استعمارية؛ فهي عبارة عن " تَشكّل اجتماعي وليس للأفراد الحق باختيارها، وإنّما فقط يضيفون إليها معاني من التعدّدية والتنوّع"[23]. أمّا عودة الخطاب الطّائفي باسم الدّفاع عن الهويّة الأمازيغية من قبل عدد من النّاشطين السّياسيين والإعلاميين في أقطار المغرب العربي، فإنّه يتنزّل في إطار خدمة الاستعمار الذي تجدّدت أطماعه وتكثّفت مداخله في الهيمنة على المنطقة العربيّة، خاصّة بعد الحراك الشعبي الذي شهدته منذ عام 2011.

4. سّياقات الحراك الأمازيغي الرّاهن وأهدافه

يؤكّد الباحث وعالم الاجتماع السّوري " علي أسعد وطفة[24] أنّ النّزعة الطائفية" عرفت تاريخًا من التّذبذب بين الحضور والغياب على مقياس الحوادث السياسية والاجتماعية هبوطا أو صعودا في المنطقة العربيّة. ويرصد المفكرون أن حضور هذه النّزعة يكون عاصفا ومدمّرا في أثناء الانتكاسات السّياسية والأزمات الاجتماعية

التي تشهدها بعض الدول والبلدان، وإنّ الطائفية نتاج لجملة من أوضاع وعوامل اجتماعية وثقافية متنوعة وعميقة الجذور في تاريخ أمّتنا العربية.

1.4 ـ السّياقات التاريخية لظاهرة "الطائفية الأمازيغية"

لا يمكن فهم ظاهرة "الطائفية"[25] وأسباب الاستنجاد بها أو الدّعوة إليها من قبل البعض في منطقتنا العربيّة اليوم، مثلما أشرنا في المقدّمة، دون البحث في سياقاتها (**Les contextes**) العربيّة والإقليمية والدولية الجديدة التي كانت أحد أسباب معاودة إنتاجها. فمنذ أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية، وضمن السّياق العالمي الجديد ذو القطبية الواحدة، تغيرت آليات ومداخل وذخائر "الكولونيالية الجديدة" في منطقتنا العربية والإسلامية. ومن أهم آلياتها "النّاعمة" العمل على إعادة تشكيل القيم و"نماذج التوجيه" والتحكم في مصير المنطقة العربية عبر مداخل جديدة للهيمنة والسّطو على مقدّرات الأمّة مثل: "محاربة الارهاب" والدّفاع عن حقوق "الأقليات" ونشر"الديمقراطية" وغيرها من الموضوعات، من أجل إعادة ترتيب وضع المنطقة العربيّة وفق مخطّطات مشروع "الشرق الأوسط الجديد" وأهدافه الجيو ـ سياسية.

ومن هنا نفهم لماذا كثر الاهتمام بمسألة "الأقليات" من قبل مراكز البحوث السياسية والاستراتيجية الأوروبية والأمريكيّة في وطننا العربي، والتي تموّلها عديد المؤسّسات المالية والاقتصاديّة الغربيّة مثل: هيئة المعونة الأمريكية و"مؤسّسة فورد" و"راند" وغيرها. ويجنّد فيها الخبراء والعلماء والمختصّون في مختلف العلوم الإنسانية، مثل علم النّفس وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا وعلم الاستشراق وغيرها. فهذه المراكز والهياكل والمؤسّسات البحثية والوسائل الإعلامية تهتمّ بدراسة تاريخ المنطقة العربية وبمسألة الأقليات، في ضوء المقاربة الأنثربولوجية الإنقسامية وبراديغم "فقه التّفتيت"[26].

لقد عملت الدّول الاستعمارية الأوروبيّة، منذ القرن التّاسع عشر، على إثارة النّزاعات الإثنية والمذهبيّة في مختلف المناطق التي احتلّوها في العالم. وكانت من ضمن عناصر استراتيجيتهم التي اعتمدوها هي التّحالف مع بعض المجموعات (القبلية والدّينية والإثنية) وأعطائها بعض الامتيازات على حساب المجموعات الأخرى في إطار ما عُرف في الأدب السوسيو- أنثربولوجي بسياسة "فرّق تسد". لهذا، ارتبطت ، تاريخيا، ظاهرة الطائفية بفترات التدخّل الأجنبي في منطقتنا، وقيام المستعمرون بإغراء واستدراج بعض الجماعات إلى التّعاون معهم ضدّ المجموعات الأخرى[27].

وفي تاريخنا المعاصر، طرحت "المسألة الأمازيغية" في المغرب العربي مع بداية القرن العشرين، تزامنا مع هيمنة الاستعمار الفرنسي على المنطقة، وعبر عديد الوسائل من أهمّها: "البعثات العلمية" و"معهد الدّراسات البربرية"(L'Académie berbère) الذي تأسسّ في باريس(1966) ، وقبله إصدار "مجلة الأرشيف البربري"(1915 ـ1918) وكذلك مجلة "هسبريس" التي صدرت بداية من عام 1921، وعادت إلى الصّدور في نسخة ألكترونية بالمغرب، والتي كان يُعدّها في السّابق ضبّاط فرنسيون ومستشرقون"[28]. إذاً، تُوقفنا "المسألة

الأمازيغية" على الظروف والملابسات وعلاقة ببعض الأحداث التاريخيّة والأيديولوجية التي ظهرت فيها. كما تمكّننا من معرفة دوافع الإشتغال عليها من قبل البعض، سواء في أصولها المعرفية والنظرية المجرّدة، أو في مستوى توظيفاتها السّياسية واستخداماتها الميدانيّة.

إنّ المسألة الأمازيغيّة بحسب عديد الباحثين، واستنادا إلى عديد الدّراسات والوثائق التاريخيّة، كانت من أهم الآليات الاستعمارية الفرنسيّة في محاولة لتقسيم مجتمعات المغرب العربي على أسس طائفيّة. ففي المغرب الأقصى، قامت سلطات الاحتلال الفرنسية بإصدار ما يعرف بـ"الظهير البربري"([29]) الذي تزامن مع نشر المستشرق "روبرت مونتاني" كتابه "البربر والمخزن" (Les berbères et le Makhzen). وقد كان "الظهير البربري" محاولة لـ"مأْسَسة نظامين قانونيين مختلفين في المغرب؛ الأوّل يستند إلى القوانين "العرفية" المحلية ومخصّص للأشخاص الذين اعتبروا من "الأمازيغ"، والثّاني يستند إلى الشّريعة الإسلامية ومخصّص للعرب. فقد فرضت فرنسا هذا التّشريع على المجتمع المغربي من أجل إحداث بؤر توتّر ونزاعات بين مكوّناته الإثنية والدّينية، ولكي تفكّك به مفاصل وحدة هذا المجتمع المغربي، حتّى يظلّ البحث عن عناصر التّمايز بين مكوّناته الاجتماعيّة والدّينيّة سببًا في ديمومة صرعاتها الدذاخلية، ولكي لا تستطيع الخروج من دائرة النّبش في مآسي ماضيها وأسبابها الحقيقيّة.

في زمن انحلال النّسيج المجتمعي العام مثلما تعيشه منطقتنا العربيّة اليون لا يمكن أن تعالج قضيّة الأقليات في "ظلمة الطائفية، لأنّها سوف تحوّلها إلى شكل من أشكال "البلبلة السّياسية" طالما أنّها *"ليست إبنة زمانها"*([30]). وعادة ما تكون النّتيجة لهذه الحركات النّضالية وذات "السّمات البدائية" ضمن مراحل التّطور البشري([31])، متعارضة مع مطالبها النّبيلة وحُجَجِها "الإنسانوية"(Humanisme)، ولا تجني من مجهودها إلا مزيداً من الانحدار والتفكّك الاجتماعي والانهيار وقتل القيم الإنسانية والحضارية التي تزعم أنّها تناضل من أجلها. ومن ثمّ تفقد هذه الحركات وجاهتها مهما رُصدت لها من امكانيات مادية وبشرية والتّعبئة الإعلامية لضمان شرعيّتها. وأكبر خطر قد تمثّله في هذه الحالة، أنّها تمدّ أذرعتها مثل: الأخطبوط، وتُستبطن تمثّلاتها عند الأفراد والمجموعات عبر الممارسة اليومية، أي تنتقل قيمها وتحقّق أهدافها وتتركّز مخابيلها الفرديّة والجماعية عبر اختراقها لمختلف الهياكل والمنظمات والأحزاب والمؤسّسات في المجتمع.

لا يمكن لأحد أن ينكر أنّه منذ بداية عام 2011، دخلت أمّتنا العربية في طور أزمة سياسية ووجوديّة مازالت مفتوحة على عديد المآلات، وقد تكون مخاضًا لإعادة تقسيمها من جديد إذا ما نجح أعداؤنا في بناء مشاريعهم النيو كولونيالية(Néo-colonialism). فالخطاب السياسي العربي الرّسمي المأزوم حمل أبعادًا تفكيكيّة جديدة زادت من قوة تأثيراتها السلبيّة في مختلف فئات المجتمع وخاصة عبر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي التي تحوّلت عند البعض إلى أداة لتزييف الوعي وإفساد عقول الشباب في ظل انفلاتها من أية رقابة أخلاقية أو روح وطنية، وباعتبارها تتحرّك في عالم افتراضي بلا حدود أو قيود. ويبدو من تاريخ الأمازيغ، أنّه نتيجة تعرّض البلاد المغاربيّة للسّيطرة الأجنبية وغياب النّخبة أدى، في نظر البعض، *إلى ضعف الوعي بأهمية الوحدة الإثنية*

واللّغوية" [32]. وقد زادت هذه الظّاهرة حدّة وقوّة نتيجة المأزق الذي تعيشه مختلف الأيديولوجيات السّياسية العربية (إسلامية وعروبية وعلمانية ..) وفشلها في تحقيق وعودها التنمويّة التي ناضلت من أجلها الحركات الوطنيّة العربيّة، فعادت بعض أقطارنا العربيّة إلى مرحلة "ما قبل" الدّولة الوطنيّة.

لقد كان الاستعمار الغربي وما يزال، يشكّل الدّاعم الرّئيسي لهذا الحراك، ويعمل على أن تظلّ مجتمعاتنا العربيّة كلّها تعيش في دوّامة الفتنة والفوضى الاجتماعية (Le chaos social) تحت عناوين ومسميّات متعدّدة، لعلّ أهمّها وأخطرها هي محاولة العبث بما يوحّدنا ويحفظ تماسكنا، وتفكيك ما راكمته أمّتنا في تاريخها القديم والحديث من عناصر ثقافية وقوّة حضارية عميقة. ومازالت هذه المقاربة الكولونيالية القائمة على نشر ثقافة الكراهية بين الأشقاء وأبناء الوطن الواحد، وشحن الخطاب السّياسي بثقافة "التّمايز الطائفي" تمثل آلية لتدويل قضايانا الدّاخلية، سواء عبر الحملات الإعلامية لبث روح الفتنة وبراديغم "الإنقسامية"، أو عبر الدّعم المادّي والمعنوي السّخي لبعض رموز هذه "الحركات الطّائفية" ليحدثوا بها ثقوبا يتسلّلوا من خلالها إلى العمق المجتمعي ويضمنوا من خلالها استئسادهم وهيمنتهم النّاعمة على بلادنا.

4. 2. أهداف الحراك الأمازيغي في منطقة المغرب العربي

ذكر الباحث الجزائري "عثمان سعدي" في إحدى مقالاته[33] أنّه :"قبل دخول المستعمر الفرنسي إلى منطقة المغرب العربي ابتداء من الجزائر سنة 1830، لم يكن هناك أمازيغي واحد قال بأنّه أمازيغي وليس عربيا، أو طالب باعتماد اللّغة الأمازيغية بدل اللغة العربية. فحتّى قبل الإسلام كانت توجد بالمغرب العربي لغة فصحى عروبية مكتوبة هي الكنعانية ـ الفينيقية، محاطة بلهجات شفوية أمازيغية عروبية قحطانية، ولمدة سبعة عشر قرونا.

انطلاقا من هذا النص وغيره من الوثائق التاريخيّة الأخرى التي أشرنا إليها، يمكننا تتبّع ظهور الدّلالات الأولى للقضيّة "الأمازيغيّة" التي تشوّهت، وتلوّنت أشكالها داخل المنظومات والمدوّنات الفكرية والسياسية والخطابات الاعلامية، وإلى تعرية رهانات المشتغلين عليها ومعرفة أهدافهم الظّاهرة والخفيّة.

لقد نشأت "الحركة الأمازيغية" الأولى في الجزائر عام 1949 وتم استئصالها، لكن بعد استقلال الجزائر تمّ بعثها من جديد بالقوّة تحت إسم "الأكاديمية البربرية" في باريس عام 1967 في جامعة باريس 8 فانسين، وقامت بإعداد العشرات من حاملي الماجستير والدكتورا في اللغة الأمازيغية (البربرية) أشهرهم وربطتهم بأجهزة الاستخبارات الفرنسية[34]، "وبدأت تعمل على خلق "ضرّة" للعربية من اللغة البربرية حتى يدخلا في صراع بينهما، وتظل الهيمنة الفعلية للغة الفرنسية في دول المغرب العربي. ومازالت تشتغل تحت أقنعة متعدّدة، وبوسائل متنوّعة تهدف جميعها إلى تحقيق أهداف الاستعمار الفرنسي في القضاء على الأساس الأوّل الجامع للهويّة الوطنية المتمثل في اللغة العربيّة، وأحد أهم عناصر البناء الثقافي وأحد مكوّنات الشخصية الوطنية للمجتمعات المغاربية، ولانتمائها العربي والإسلامي.

إنّ الحالة الاستعمارية في المغرب العربي تميّزت عن نظيراتها في المشرق العربي باستهدافها تحديدا مكوّنات هويّتها من دين ولغة ومنظومة قيمية وثقافية، حكمت ومازالت تحكم الأنساق الاجتماعية والثقافية مثل: سياسة التّجنيس في تونس عام 1923، والظّهير البربري في المغرب عام 193، بهدف تفكيك الوحدة الوطنية لهذه الدول وفرض الثقافة الفرنكفونية. والضّغط على حكومات الدّول المغاربية حتى تتخلى عن سياساتها التّعريبية لاسترجاع سيادتها اللّغوية، والعمل على إبقاء اللّغة الفرنسية رئيسيّة في المجالات الإدارية والإعلامية والاقتصادية والتعليمية وغيرها، ولكي " تتقاسم مع هذه الدّول مجالات النّفوذ والسّيادة اللغوية، وتظلّ شعوبها تعيش في صراع إثني يفقدها مشاعر الوحدة الوطنية، وتظلّ جماعات متناحرة فيما بينها، ولا بديل لهذا التّناحر سوى الانقسام، إن آجلا أو عاجلًا!"[35].

لا تنحصر أهداف الفرنكفونية في فرض اللّغة الفرنسية، أو ضمن استراتيجية الحفاظ على الحالة النّزاعيّة بين التقسيمات الاجتماعية في شمال أفريقيا فقط، بل تعدّ أحد أعمدة المشروع الجيو ـ بوليتيكي الاستراتيجي عمل من أجله المستشرقون والباحثون الفرنسيون. فقد عبّر بعضهم عن هذه السياسة بقوله :"إنّ الدفاع عن اللغة الفرنسية مسألة تتعلق بالدّفاع القومي"[36]. وكذلك يمكن أن نذكر ما صرّح به الرئيس الفرنسي السّابق "فرنسوا ميتران" في أحد خطاباته بقوله :" إذا لم نتوصّل إلى الاقتناع بأنّ الانتماء إلى العالم الفرنكفوني ـ سياسيا واقتصاديا وثقافيا ـ يمثّل إضافة، فإنّنا سنكون قد فشلنا"[37]. ومن مفارقات هذه السّياسة وأباطيلها أنّه يسمّي ذوي الأصول الإفريقية المتجنّس بالجنسية الفرنسية ليومه أو لساعته فرنسيا، ويلحقه بفريقه الرّياضي أو طاقمه الدّيبلوماسي. وفي مقابل ذلك، مثلما يقول البعض، ينكر على "البربري" ـ مثلاـ أن يكون عربيّا، بعد ما مرّت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرنا وزيادة، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلا من أجداده على الاستعراب، لا يعرفون إلا العربية لغة يتكلمون بها، ويتأدبون ويتعبدون"[38]. لقد كانت الحرب على اللّغة العربية كانت "هدفا استعماريا ثابتا، قديمًا ـ جديدا، يستهدف بلبلة العقل العربي، وتشكيكه في نفسه وتحطيم الرّابطة الأولى والأخيرة في حياة العرب، وهي اللّغة العربية[39].

فهذه الاستراتيجية الاستعماريّة الغربيّة القديمة ـ الجديدة تقوم على منطق أو براديغم "الاستحواذ بالعملاء"[40]. ويتمّ التّخطيط لها في هدوء وإخراجها في لبوس ناعم لتظلّ الأمّة العربيّة على هامش الفعل التاريخي والإنجاز الحضاري، مستغلّة في ذلك "الثقوب السّوداء"(Blacks Holes) التي أحدثتها في جدار وحدتها اتفاقية "سايكس ـ بيكو" منذ عام 1916. لذلك، يعيد الاستنجاد بـ" مسألة الأقليات" وتدويلها حتى تجد طريقها بمهارة إلى بعض العقول السّاذجة، وتتحوّل عند أصحابها إلى أمّهات القضايا، وذات راهنيّة تقتضي حلولاً استعجاليّة.

فانطلاقا من عام 1930 في المغرب الأقصى، مرورًا بأحداث الجزائر (1971) عندما أمّم الرئيس السّابق هواري بومدين البترول، دعّمت فرنسا الأقلية البربرية كوسيلة للضّغط على الجزائر، وعاودت الاشتغال على هذه المسألة في ما بات يعرف بـ"الربيع البربري" في عام 1980، ثم مع دستور 1989 حيث استغلت التعدّدية السّياسية التي ضمنها هذا الدّستور لإعادة إحياء هذه الفتنة بين المطالبين بـ" التّعريب" والمطالبين بـ"اللغة الأمازيغية"، وكان المنتصر من هذه "الفتنة العمياء"، هي فرنسا؛ حيث حافظت لغتها إلى اليوم على حضورها في التّداول اللّساني العامّي والإداري الرّسمي في دول المغرب العربي الأربع، باستثناء ليبيا

إنّ الهدف الاستراتيجي لهذه السّياسة الاستعمارية ـ على اختلاف فتراتها التاريخيّة وتعدّد أسبابها وتنوّع مواقعها ـ هو تدمير الوحدة الوطنية لهذه الأقطار وعزلها عن محيطها العربي والإسلامي. لذلك، مازال اللّوبي الفرنسي الفرنكفوني يشتغل، إلى اليوم، في المغرب العربي عبر وكلائه المحلّيين، ويدعم "الحركة الأمازيغية" من أجل الحفاظ على إحدى أهمّ ذخائره النّاعمة في الهيمنة على المنطقة. لذلك، اشتغلت "الحركة الأمازيغية" منذ تأسيسها بصفة رسمية سنة 1967 في فرنسا، على مسألة الهويّة اللغويّة لكن في ظلمة الطائفيّة. حيث بدأت تعزف على وتر "أسطوريّة الأصول"[41] الاجتماعية للأمازيغ والعمل على الارتقاء بها إلى مستوى القدْسنة" (La sacralisation). وباتت هذه القضيّة، في نظر البعض، تشكّل أحد خصائص المناسك الطقوسية الدنيويّة التي يحجّون إليها كلّما عاشت منطقتنا أزمة أو تعرّضت إلى صدمة تاريخيّة ورجّة سياسيّة من أجل معاودة زرع "عشب الفتنة" والتشظّي الاجتماعي بين مكوّناتها الاجتماعية والدّينية.

ذكر عالم الأنثربولوجيا الفرنسي "موريس قودلييه"(Maurice Godelier)[42] أنّه في مواجهة الواقعة االقبلية، يجد الأنثربولوجيون وسواهم من الاختصاصيين في العلوم الاجتماعية أنفسهم مجدّدا منقسمين عندما يتعين عليهم تأويل هذه الظّاهرة السّوسيولوجية وأهميتها التاريخية. أما في مسألة ظهور أو تكوين الدولة بحسب الكاتب فإنّه عندما نعتمد رؤية شاملة لتطور المجتمعات البشرية عبر تواريخها، نلاحظ وجود خطّين أفضيا إلى نمطين مختلفين من العلاقات بين القبائل والدّول، لكنهما، يفترضان مسبقا وجود مجموعات قبلية وعرقية في طريق التحوّل"[43]. أحدهما أدى إلى تكوين دول تحملها القبائل التي واصلت وجودها بعد مولد الدّول هذه، وهذا هو خط التطور الأقدم والذي يستمر حتى أيامنا. أما الشّكل الثاني، فقد أدى إلى تشكيل دول اسْتلحَقتْ منهجا القبائل التي كانت قد حملتها فحوّلتها، قوّضتها او همّشتها"[44]. وقد اعتقد الكثير من علماء الأنثربولوجيا الآخرين مثل " لويس مورغان"[45] بأنّ وجود الدّول كان يمكنه وحده أن "*يستعمل ككينونة للحضارات الظاهرة في التاريخ، لأنّه كان يبدو له مستحيلا تأسيس مجتمع سياسي أو دولة على "عامّيات*"(Des gentes)[46]. لهذا، استلزمت الحضارة، حتى تتفتح، حل مجموعات القرابية القديمة، أي القبائل، وتحويلها إلى مجموعات إقليمية. ولا يزال طرح هذه المسألة الصّعبة لتقاسم السّيادة على الإقليم بين الدولة والقبائل، أو للمجموعات العرقية التي تتكوّن منها.

لهذا، ينبغي علينا استدراك أسباب بقاء هذه التّكافلات الطائفية التي ترتدي، حتى اللّحظة، أهمية كبرى في حياة بعض أعضاء هذه المجموعات.

من سمات بنية "العقل السّياسي العربي" عقيدة الأحلاف ومنطق شخصانية مؤسّسات الدّولة والمجتمع. ونتيجة لذلك، مازل أبناء الوطن الواحد يتنازعون حول أحداث وقعت منذ عشرات السّنين، بل منذ قرون. وإذا ما بقينا نتوارث هذه الثّقافة الاسترجاعية والدّورانية في الحقل السّياسي والثقافي وفي مخيالنا الاجتماعي جيلا بعد جيل، مثلما حدّثنا عنها العلاّمة "عبد الرحمان ابن خلدون"، فسنظلّ نعيش نفس الأعراض الانتكاسويّة ونعاود إنتاجها، ولن يظفر مجتمعنا العربي إلا بسيادة هجينة في دولة بلا روح.

نعتقد أنّ قراءة تاريخيّة للمسألة الأمازيغية في المغرب العربي ومعرفة ملابساتها وتعقّداتها الرّاهنة، كما طرق معالجتها يحتاج إلى الاستبصار والعقلانية والترشّد. فهناك بعض المقاربات لهذه القضيّة تعدّ في نظرنا غير سليمة ونتائجها خطيرة على المستوى البعيد، كما أنّها ذات نزعة "أيديولوجية مسبقة"[47]؛ حيث لا يدعو أصحابها إلى "جعل اللّغة الأمازيغية لغة موازية للّغة العربية فقط، وإنّما يؤكّدون سواء عبر المؤلّفات الورقيّة أو المواقع الألكترونيّة أنّهم أصحاب الأرض الأصليين، وأنّ ساكني هذه المنطقة من "العرب"، هم "غزاة" ينبغي طردهم من هذه الأرض!

4 ـ3. الحركة الأمازيغية وفقه الطّائفية من خلال بعض المدوّنات الألكترونية

إنّ عودة النّقاشات والجدالات والتّأسيسات لـ"المسألة الأمازيغية"، بعد انقضاء أكثر من أربعة عشر قرنا من التّعايش السّلمي والاندماج المجتمعي بين مختلف المجموعات الإثنيّة والدّينية واللّغويّة السّاكنة في منطقة المغرب العربي، ليس إلا أحد مداخل تدويل قضايانا الدّاخلية وشرعنة عودة الاستعمار النّاعم إلى بلادنا، طالما أنّه لا يتمّ الاستنجاد بها إلا في زمن التوتّرات والمحن الوطنيّة. ومهما كانت وجاهة هذه القضيّة، أخلاقيا أو حقوقيا وإنسانياً، فإنّها لا تعدّ في نظرنا القضيّة المستعجلة التي يتوقّف عليها مصير هذه المنطقة وتقدّمها في المستقبل، خاصّة وأنَ مشكلة الأقليات الإثنية والدّينية منتشرة في جميع أنحاء العالم وليست خاصية عربية. ففي أوروبا والولايات المتّحدة الأمريكية نجد أقليات عرقية وعقائدية ومذهبية متعدّدة، ولكن لا يتمّ التّعامل معها بمنطق "الانتهازية" ومحاولة إثارة "الفتنة" والعداء بينها، وإنّما تعالج دائما في إطار الحوار دون استهداف للهويّة المشتركة الجامعة بينها، وكذلك عبر آليات وهياكل ومؤسّسات قانونية ودستورية تجرَم فيه كلّ من يدعو إلى العنصرية أو إلى تفكيك هوية الأمّة الجامعة[48].

في هذا الوقت، ربّما تتأكّد الحاجة أكثر إلى الدّراسات الموضوعيّة حول المسألة الأمازيغيّة، حيث تعيش الأمة العربية والعالم الإسلامي حالة من الدّينامية المجتمعيّة المتميّزة، ازداد فيها الاهتمام بالتّراث الثقافي والفكري والميل إلى إعادة كتابة تاريخنا الغابر الذي مازلنا نجهل كثيرا من أحداثه وتفاصيلها. ولعلّ أوّل خطوة في هذا الاتجاه هي إعادة النّظر في بعض دراسات المستشرقين، لا سيما التي ظهرت في القرن الماضي وعليها بصماته الاستعماريّة الواضحة. ومن أهمّها الدّراسات التي تدعو إلى كراهية الشّعوب المغلوبة للفاتحين العرب والمسلمين في المغرب العربي، والتي

فجّرت أزمات مازالت ماثلة في مخاييلنا السياسية والاجتماعيّة، وكانت سببا في تحريك ظاهرة الأقليات في بلادنا، والعمل على "*حقنها بدماء جديدة حتى لا يفترسها القنوط واليأس، وتبقى القضيّة السّياسية دائمة التوهج في النّفوس*"(49).

لقد تكثّفت المواقع والمدوّنات "الأمازيغية" خاصّة بعد أن أصدر "التجمّع العالمي الأمازيغي" إثر مؤتمره السّابع بمدينة إيفران(المغرب)(27ـ29 نوفمبر 2017) بيانا دعا فيه إلى إقرار الحكم الذاتي للأقاليم الأمازيغية شمال أفريقيا. ويمكن لأيّ متابع ومهتمّ بالمسألة الأمازيغية، سواء عبر ما يتمّ تداوله ونشره في المواقع الألكترونية والمدوّنات الخاصّة أو عبر شبكة التواصل الاجتماعي (الفيسبوك/ تويتر) ومختلف الكتابات والبرامج الإعلامية والمؤتمرات و"المهرجانات"، أن يقف على حقيقة أهداف هذه الأنشطة (الثقافية والسياسية والاجتماعية والسّياحية) التي تعمل ضمن مشروع استعماري فتنوي ناعم يستهدف وحدة مجتمعاتنا المغاربية وتفكيك عناصر انسجاميّتها الثّقافيّة.

1ـ كتب أحد أعضاء هذه الحركة إسمه كما ورد "Aissa ben tili" (أصيل منطقة جربة/ تونس) في صفحته على الفيسبوك بتاريخ (12/0_/2018) ما يلي:" تونس فيها أكثر من 60 بالمئة ذوي أصول أمازيغية، وفيها يجي12% ذوي أصول عربية. و"أنا اللي يغششني كي يجي تونسي ويقول إحنا عرب واحنا دولة عربية!" (الحركة القبيسية: تنظيم ماسوني مرجعيته الدينية اليهودية).

2ـ موقع "شمال أفريقيا أمازيغ" (2018/09/05):" إذا كان صحيحا ما نشرته صفحة اللّجنة التافهة لمساندة الجارية نعيمة(نعيمة صالحي اللجنة الوطنية لمساندة الأساتذة ولاية المسيلة/ الجزائر). يقول صاحب التّدوينة:" فنحن أيضا لن ندرّس لغتهم في مدارسنا وسنطرد مدرّسيهم. يريدون إعلان الحرب على اللغة الأمازيغية نحن أيضا كأمازيغ أحرار سنقمع لغتهم أصلا لا تنفع إلا لقراءة القرآن والصّلوات، لن نعترف بمن لا يعترف بنا، بهذه الطريقة نرى أن **الانفصال** عن المتعصّبين هو الحل الأخير".

3ـ المدّون "القيطرة" (2013) عن موقع "شمال أفريقيا الأمازيغية" يقول:" هناك تقارير تحذّر من ثورة أمازيغية قادمة بدول شمال أفريقيا إذا لم تحقّق الحكومات مطالب الأمازيغ المشروعة. إنّ **الأمة الأمازيغية** في شمال أفريقيا تعاني من كافة أشكال الاضطهاد الاقتصادي والثقافي والسّياسي والمعنوي والنفسي بسبب الأنظمة العربية في شمال أفريقيا، على الرّغم من أنّ السكّان الأصليين لتلك الدّول هم الأمازيغ ممّن يزيد تعدادهم اليوم عن **50 مليون نسمة**"(منظمة العدل للتنمية وحقوق الإنسان). ثم يقول"إنّ **إسرائيل** أوّل دولة ديمقراطية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط والعرب في الصفوف الأخيرة".

4ـ المدوّنة الألكترونية الأمازيغية: ورد فيها أيضا ما يلي:" صدر يوم 13 مارس 2019 التقرير السّنوي الأمريكي الجديد الذي تعدّه وزارة الخارجية الأمريكية عن حقوق الإنسان في العالم. ومقارنة بالتقارير السّابقة، يضيف كاتب

النص، "نلاحظ لأول مرة تولي الإدارة الأمريكية للمسألة الأمازيغية الأولوية والأهمية الكبرى في جميع الفصول، حيث يورد أن " وجود تراجعات وتضييقات على العديد من المسائل المرتبطة بالأمازيغية، خصوصا في مسائل التنمية وتدريس اللغة الأمازيغية..". ثم يضيف قائلا: " أنه وفقا لبعض المحلّلين، فإنّ هذا قد يكون ترقية داخلية من قبل الإدارة الأمريكية. فقبل أربعون عاما من بروز المسألة الأمازيغية، كانت لمسألة "الصحراء الغربيّة" اهتماما نسبيا من قبل الغربيين، لكن بعد بروز المسألة الأمازيغية والتعريف بها دوليا بفعل نضال **"الشّعب الأمازيغي"** الأصلي بشمال أفريقيا، تغيّرت المعادلة وأصبحت التقارير الدوليّة المهتمة بحقوق الإنسان تولي المسألة الأمازيغية الأولوية والاهتمام مقارنة بغيرها من القضايا ذات الطابع الحقوقي بالمغرب وشمال أفريقيا. ثم يختم النص، بالقول:" من النّاحية الاستراتيجية لدى الإدارة الأمريكية، فإنّ المسألة الأمازيغية أصبحت أكثر أهمية بكثير، لكون دعمها مساهمة قوية في كبح **الفكر الظّلامي المشرقي**".

في نفس الموقع، نجد مدونة أخرى وردت تحت عنوان " العربية والأمازيغية في مخيال المغاربيين بعد عقود من سياسة التّعريب الأيديولوجي وغسل الدّماغ"، يقول فيها صاحبها :" لا يجادل أحد في كون الأمازيغية وإلى حدود العشرينيات من القرن الماضي كانت لغة معظم المغاربة (لغتهم الأم) وثقافتهم المنتشرة في كل مناحي الحياة وواقع سوسيو- لساني للسّواد الأعظم للمغاربة". وقد" استمر هذا الوضع إلى ما قبل الإستقلال وبداية تأسيس الدولة الحديثة، حيث عملت الدولة منذ انتهاء الحماية الفرنسية وحصول المغرب على استقلاله الشكلي، على نهج سياسة التّعريب الشامل تحت شعار العروبة والإسلام. إذ فرضت اللغة العربية والثقافة العربية على جميع المستويات من إعلام وتعليم وقضاء وكل مؤسّسات الدولة (**هذا إذا سلّمنا بأنها دولة**)، حيث سخّرت هذه الدولة كل سلطتها، وكل إمكانياتها من أجل تعريب المغرب وإقبار الهوية الحقيقية للمغاربة هوية الأرض " الأمازيغية". (مقتطف من، سمير أبو علي: ماسينيسا، بتصرف).

5. موقع الحوار نت:2011/11/01 : صدر بيان حول مؤتمر جربة (تونس) تحت عنوان"تونس: آفاق مقلقة" بتاريخ 2011/10/27 الموافق لـ2961/10/15(التقويم الأمازيغي)"[50]. وأهمّ ما ورد في هذا التقرير نورد الفقرات التالية:" لقد جعل السيد الغنوشي زعيم الحركة الإسلامية من مسألة الهوية أولوية له فأعلن"نحن عرب ولغتنا هي اللغة العربية". فهل كان يتكلم باسمه الشخصي أم باسم كافة التونسيين؟

ويضيف التقرير :"وعلى أيّة حال، فإنّه يكون من المفيد تذكيره بأنّ تونس هي تاريخيا أرض أمازيغية بطريق الأولوية(تماما على غرار إفريقيا الشمالية)، وأنّها عرفت غزوات كثيرة من شعوب وحضارات من أوروبا ثم من الشرق. وقد عملت غالبية تلك الشعوب على أن تفرض نفسها بالقوة وأن تحاول محو اللغة والثقافة الأمازيغيتين المحليتين. غير أنّه بالرّغم من مضي قرون من الابادة الثقافية لا يزال يوجد إلى اليوم عدّة ملايين[51] من التونسيين من أصول أمازيغية، من بينهم قرابة مليون شخص يتكلّمون اللغة الأمازيغية"[52].

ما يجمع هذه المدوّنات أنّ سمتها العامّة ذات مسحة خطابيّة استعطافيّة وتهييجيّة وتتخفّى أحيانا وراء لبوس سياسي وحقوقي "إنساني". ومن السّمات الأخرى أنّها تضمّنت بعض المغالطات التاريخية، ووردت فيها عديد الأخطاء خاصّة في ما يتعلق بعدد المتحدّثين باللّغة الأمازيغية في تونس مثلا. وقد سخّرت كل ما لديها من وسائل مادية وطاقات بشرية(حركات سياسية وجمعيات ثقافية ووسائل إعلامية) لأجل إثبات أحقيتها في التفرّد والانفصال، والعمل على تفكيك الانسجام الهويّاتي الجامع لشعوب المنطقة عبر ما يسمى بـ"الكونغرس العالمي الأمازيغي"[53]. وأهم ما يمكن أن نلاحظه أنّ جميع المواقع والأنشطة تدعو بشكل غير مباشر إلى قدْسنة الهوية "الأمازيغية" بين منتسبيها، وإعادة تأسيس الوعي " الأمازيغي" وبناء تمثّلاتها الاجتماعية الجديدة لـ"دالّة مجهولة"[54] لدى أغلب أبناء المنطقة، سواء كانوا من عامّة الشّعب أو من نخبه.

فقد كشف الباحث وعالم الاجتماع السّوري "علي أسعد وطفة"[55] كيف أنّ كثيرًا من "المثقّفين" العرب يسقطون في إطار المنظور الطائفي أو المذهبي الضّيق متأثرين بالجو العام بدلا من أن يخرجوا منه ويفتحوا للمواطنين خطا جديدا، والسّبب بحسب رأيه واضح؛ فهو عائد إما إلى دغدغة المشاعر وإرضاء هذا الرّأي العام أو ذاك، وإما إلى ضعف التكوين المنهجي لدى هؤلاء الباحثين المتسرّعين، وإمّا إلى عدم إطلاعهم على ثقافة أخرى تتجاوز حدود ثقافتهم الطائفيّة.

ففي إطار خلق مشروعية اجتماعية ذات مداخل طائفية "[56]، ومن أجل إعادة مأْسَسة الهويّات الإثنية أو المذهبية والرّفع من رصيدها الرّمزي وفرض حضورها في المخيال الاجتماعي والسّياسي المغاربي، يعمل "الحراك الأمازيغي" الرّاهن على نشر "الفتنة النّاعمة" عبر جميع الفضاءات الألكترونية ومواقع التواصل الاجتماعية الحرّة، وكذلك عبر شبكة من الجمعيات لتعبئة الفئات الاجتماعية وخاصة فئة الشباب، والعمل على استغلالهم بما توفره لهم من اغراءات مادية وإحاطات نفسية ومعنويّة ضمن أنشطتها المدنيّة. فمن خلال متابعتنا وتوثيقنا لأنشطة هذه الحركات والجمعيات، خلال السّنوات الثّمانية الماضية، وجدنا أنّ " الحراك الأمازيغي" يعتمد على مختلف آليات الجذب والإغراء والتسويق لمشاريعها، مستغلا في ذلك السّياقات المحليّة والإقليميّة الجديدة التي تتميّز بحالة من الانحلال السيّاسي غير المسبوقة، و"الأنوميا" المجتمعية، وتطوّر وسائل الإعلام والتكنولوجيات الألكترونية التي جعلت مجتمعاتنا مخترقة من جميع الجهات، فجعلها البعض مصبّا لجميع فضلات "الكولونيالية الجديدة" (Néo-colonialisme).

لهذا، ينبغي علينا أن ننتبه إلى أنّ هذا الخطاب الإعلامي بمختلف وسائله ومظاهره وتلوّناته، وضمن توصيفاته ونعوته غير الدّقيقة وعباراته الغامضة والمشوّهة للأسباب العميقة لهذا الحراك تحوّل إلى أداة ""لإخفاء حقائق الوقائع وإعطائها أكثر من معنى وتأويل[57]، فزاد في منسوب سيولة ثقافة الكراهيّة بين مكوّنات المجتمع. كما أنّ بعض المدوّنين ـ عن وعي منهم أو دون وعي ـ في متابعتنا لكرونولوجيا هذا الحراك تؤكّد أنّهم يتعاملون مع هذه القضيّة وفق منطق الحماسة العاطفية والبراغماتية السّياسية، وفي إطار التآمري على وحدة مجتمعانا وتهديدا لسيادة دولنا

واستقلاليتها. وقد كانت الهويّة العربية الإسلاميّة، مثلما كانت في السّابق، هي المستهدفة من خلال هذه العملية. فنجد بعض منتسبي هذا الحراك يقول:" بأنّ جذور اللغة الأمازيغية مرتبطة باللّغة اللاتينية، ويدعو صراحة إلى فرض اللغة الأمازيغية بحروف لاتينية بتشجيع فرنسي واضح ومفهوم"[58]. بينما في فرنسا يوجد ملايين الألزاسيين واللورانيين، لكنّه لم يحدث أبدا أنّ طالب ألزاسي أو بروتاني بفرض لغته على الطفل الباريسي أو الليوني أو الماريسي... ولا نشاهد نشرة أخبار بالبروتانية أو بالألزاسية أو بالباسكية في قنوات التلفزة الفرنسية (TF1)أو(TF2) أو غيرهما"[59].

5.الخاتمة

إنّ حالة الاضطهاد والتّهميش تعاني منه مختلف شعوب المنطقة المغاربيّة في ظلّ الأنظمة السّياسية الإستبدادية، وليست حكرا بالمكوّن الإثني الأمازيغي وحده، بل هي حالة عامة ومشكلة مستوطنة في جميع ربوع الأمّة، وتمسّ كل المكوّنات العرقية والمذهبيّة والسياسيّة في المنطقة. وهذه الحالة الإستبدادية كانت، ومازالت، في رأينا تمثّل أحد عوائق التحرّر السّياسي والرّخاء الاقتصادي والعدالة الاجتماعية. ولكن من مقتضيات الموضوعيّة، وفي إطار الالتزام بالمنهج العلمي، يجب أن نعالج كل القضايا والمشاكل وفق رؤية شمولية، ومنها "القضية الأمازيغية". إذ ينبغي أن تتمّ معالجة هذه القضيّة ضمن إطار الحفاظ على الوحدة الوطنية، والدّفاع عن انصهار مختلف مكوّنات مجتمعاتنا، بعيدا عن التّوظيفات السياسويّة، أو محاولات "التّمثيل" وامتصاص غضب الجماهير والدّفع بها إلى التعصّب لصالح المكوّن الأمازيغي أو التعصّب ضدّه.

نعتقد أنّ "الحراك الأمازيغي" الذي تشهده بلدان المغرب العربي، هو أحد التّعبيرات الشعبيّة عن أزمة بنيويّة شاملة وتاريخيّة عميقة جدا، من الصّعب الإلمام في دراسة مقتضبة بمختلف أبعادها ـ المعلنة والخفية ـ وفي مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والسّياسية. لكن أن يتحوّل هذا الحراك إلى تعبيرة طائفية وفتنويّة ذات أهداف مُثقلة بمحاميل سياسية وأيديولوجية واجتماعية منفعلة، فإنّه يفقده جوهره الأساسي، وهو ما يتعارض مع مصلحة "الأمازيع" أولا وقبل كلّ شيئ، لأنّ ما يجمعهم مع أبناء أمّتهم أكثر ممّا يفرّقهم.

6. الهوامش

1- محمد مفتاح وأحمد بوحس (وآخرون)، المفاهيم: تكونها وسيرورتها، (الدّار البيضاء، المغرب، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 87، جامعة محمد الخامس، مطبعة النّجاح الجديدة، ط1، 2000)، ص 11.

2- مارك أوجيه وجان بول كلاين، الأنثربولوجيا، ترجمة جورج كتورة، (بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1،2008) ، ص9.

3- سليم حدّاد، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، (بيروت ـ لبنان، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، 1986)، ص ص 50 51.

4- The Encyclopaedia Britannia, Vol.8, 15th édition, 1994, p.169.

5- سمير بحر، المدخل لدراسة الأقليّات، (القاهرة، مصر مكتبة الأنجلو مصرية، ، ط1، 1982)، ص 10.

6- سالم الأبيض، الأقليّات البربرية في تونس، (المركز العربي للدّراسات السياسية والاجتماعية، ط1،، أفريل 2011)، ص 11.

7- . محمد عمارة، الإسلام والأقّليات: الماضي والحاضر والمستقبل، (القاهرة،مكتبة الشّروق الدولية، ط1، 2003)، ص 7.

8- محمد عمارة، الإسلام والأقّليات: الماضي والحاضر والمستقبل، المرجع السّابق، ص 7.

9- نعني بـ"الطائفية" كلّ نزعة في التعصّب والانغلاق لمجموعة ضد المجموعات والطوائف الأخرى في المجتمع، لأنّ طبيعة تشكّلها يقوم على منطق التّمايز الاجتماعي أو السّياسي أو الدّيني الذي يتعارض مع وحدة المجتمع، ويتعارض أيضا مع سُنن التطوّر الإنساني ومقتضياته.

10- يذكر المؤرّخ عثمان سعدي في كتابه البربر عرب عاربة وعروبة الشمال أفريقي عبر التاريخ، أنّ العالم المتخصّص في البربرية " رونيه باسيه" يقدّر عدد اللهجات في شمال أفريقيا ـ قبل الفتح الإسلامي وانتشار اللغة العربية، بخمسة آلاف لهجة، وينكر وجود لغة بربرية أو أمازيغية، وإنما الذي يوجد ـ في نظره ـ " هو مجرد واقع لهجوي خاص بكل قرية يصعب التفاهم بين مستخدميها، ص9.

11- سالم لبيض، الأقلية البربرية في تونس، مرجع سابق، ص 12.

12- Cf. Stuart J. Kaufman, modern Hatreds: The Symbolic Politics of Ethnic War, (Comell University Press), Ihaca, 2001.

13- Cf. Michel Mafesollie, Le temps des tribus, Paris, La table ronde, 2è édition,2000.

14- Julien Chales-Audré, L'Afrique du Nord en marche, Tunis, Eds CEDES, 2001, p.598.

15- إلياس بلكا ومحمد حراز، إشكالية الهوية والتعدّد اللغوي في المغرب العربي: المغرب نموذجا، (مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1،، 2014)، ص80.

16- غابريل كامب، البربر: الذاكرة والهوية، ج1، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، (طرابلس ـ ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005)، ص 40.

17- صدقي علي أزايكو، "الإسلام والأمازيغ، أو البدايات الأولى لدخول بلاد الأمازيغ في المجال الإسلامي"، **الهوية**: من اجل ثقافة مغربية ديمقراطية، (الرباط، المغرب دار أبي رقراق للطباعة والنشر، العدد 15، يونيو 2002)، ص12.

18- صدقي علي أزايكو، "الإسلام والأمازيغ، أو البدايات الأولى لدخول بلاد الأمازيغ في المجال الإسلامي"، **الهوية**: من اجل ثقافة مغربية ديمقراطية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، العدد 15، يونيو 2002، ص15.

19- أنظر مثلا، روم لاندرو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة، (بيروت، لبنان دار الثّقافة، ، 1963).

20- سعيد بن عبدالله الدّارودي، حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيّين من خلال اللّسان، ظفار، (سلطنة عمان منشورات فكر، ، ط1، 2012)، ص32.

21- الفضيل الورتلاني، الجزائر الثّائرة، (عين مليلة الجزائر، دار الهدى للطّباعة والنشر والتّوزيع، ط4،2007)، ص 70.

22-الفضيل الورتلاني، الجزائر الثّائرة، المرجع السّابق، ص 71.

23-أحمد حسين حسنين، "لغة التعليم وتأثيرها في الهوية العربية: دراسة ميدانية على عينة من الطلاب المصريين في ظل أنظمة تعليمية متباينة"، من اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، قطر، يوليو 2011، ص 297.

24-علي أسعد وطفة، " بنية الوعي الطائفي: إشكالية الدور الملتبس للمثقف؟"، مقال ألكتروني منشور في موقع :**مؤمنون بلا حدود للدرّاسات والنشر**، تاريخ الاقتباس 2019/10/12.

25-ورد معنى الطّائفة في معجم المعاني الجامع، الطائفة (إسم) وهي الجماعة والفرقة. أما اصطلاحا، الطائفة من الشّيئ الجزء منه، والطائفة الجماعة من الناس. فالطائفة بهذا المعنى هي كل جماعة من الناس يجتمعون حول مذهب أو رأي واحد يتميزون به عن غيرهم من الفرق والطوائف في المجتمع. أما الطائفية فهي نزعة أو تمثّل اجتماعي (Représentation sociale) في علاقة انتماء الفرد إلى مجموعة من النّاس تجمعهم رابطة عقدية أو سياسية أو مناطقية أو قرابية أو غيرها.

26-تيد روبرت جار، أقّليات في خطر، (القاهرة،مكتبة مدبولي، ط1،1995)، ص 8.

27-يذكر المفكّر المصري محمّد عمارة في كتابه الإسلام والأقليات: الماضي والحاضر والمستقبل (ص25) أنّه "عندما جاء نابليون بونابرت(1769.1821) على رأس الحملة الفرنسية لغزو مصر (1798) فأوقع في مصيدة هذه السياسة "نفر من أقباط مصر بقيادة "المعلم يعقوب حنّا"(1745.1801)، وكوّنوا فيلقا قبطيا تزيّا بزي الجيش الفرنسي، وحاربوا المصريين ووظفهم لحساب الفرنسيين. وممّا دوّنته بعض الوثائق التاريخية "أن "نابليون بونابرت" لما حاصر مدينة "عكّا" في فلسطين عام 1799، أصدر نداءه إلى الأقلّيات اليهودية في العالم، كي تتحالف معه لتحقيق هذا الغرض الاستعماري، مقابل أن يساعدها على احتلال فلسطين. كما ذكر الكاتبان حيدر إبراهيم علي وميلاد حنّا في كتابهما حول: أزمة الأقليات في الوطن العربي " أنّ بريطانيا تُعدّ بالذّات مثالاً آخر لهذه الممارسات سواء في الهند والسّودان وفلسطين، أو في أستراليا التي استوطن فيها مواطنوها، وفي غيرها من المناطق التي احتلّتها في أفريقيا وآسيا(ص16).

28-محمد مصباح، "الأمازيغيّة في المغرب: جدل الدّاخل والخارج، (قطر،سلسلة دراسة حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أكتوبر 2011).

29-صدر هذا النص التشريعي في 16 ماي 1930 في الذكرى المائوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، ولكن بحسب عديد الوثائق التاريخية، فقد تصدّت له القبائل المغربية في كل جهات البلاد، ولم يكن إلا دافعا لها في التمسك بهويتها الحضارية وقيمها الدينية الإسلامية، ومناهضة لمخطط فرنسا الاستعماري الذي تريد تطبيقه تحت ستار حماية التقاليد والأعراف الأمازيغية. لمزيد التعمق في هذا النص أنظر، زكي مبارك والخلوفي محمد الصغير، الظهير البربري من خلال مذكرة صالح العبيدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الغرب، 1993.

30-رينيه غينون، أزمة العالم الحديث، ترجمة عدنان نجيب الدين، (المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط1،2016)، ص 29.

31-نعني بعبارة البدائية أنّ مرحلة تنظيم الدّول الطّائفية والقبلية قد تخطّاها الزّمن وهمّشها قيام أشكال "عليا" لتنظيم المجتمع،وخصوصا بعد ظهور تنظيم الدّول.

32-محمد العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ: نظرة موجزة في الأصول والهوية، (الرباط، المغرب، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،2010)، ص 18.

33-عثمان سعدي، عروبة اللغة الأمازيغية وأيديولوجية النزعة البربرية الاستعمارية، (موقع صحيفة "رأي اليوم" الألكترونية، تاريخ النشر 27 أكتوبر 2014).

34-كتب "محي الدّين عيمور"(وزير إعلام جزائري سابق) في أحد مقالاته الألكترونية تحت عنوان "الجزائر حكاية الأمازيغية" يقول:"لقد كان الأصل العرقي الأمازيغي دائما محل جدال فكري وسياسي وطني نتيجة التدخل الاستعماري؛ حتى أنه في الستّينيات من القرن الماضي نزعت كلمة "صباح الخير" لتحلّ محلها كلمة "زول"، على الرّغم من أنّ هذه الكلمة لا وجود لها في قاموس سائر اللّهجات الأمازيغية في المغرب. فقد استعملت هذه الكلمة في سنة 1967 في كتاب الجنرال الفرنسي " أندري" ، وهو أحد المؤسّسين للأكاديمية البربرية في باريس، والتي تم تأسيسها من قبل قدماء الجيش الفرنسي ومن المنسلخين من هويتهم العربية والإسلامية المغاربة. و" لقد كانت تلك الأكاديمية عملا سياسيا استعماريا تلفح بوشاح ثقافي وتاريخي، شجعته الاحتكارات الفرنسية ردا على تأميم الجزائر للمناجم في عام 1966، وتزايد التّشجيع نتيجة للدّعم الكبير الذي قدّمته الجزائر لمصر وسوريا في حرب 1967.

35-أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل، مرجع سابق، ص 43.

36-[1] . ورد في إدريس بن الحسن العلمي، في التعريب، (الدار البيضاء، المغرب، مطبعة دار النجاح، 2001)، ص 22.

37-إدريس بن الحسن العلمي، في التعريب، المرجع السابق، ص37.

38-أحمد نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل، (الجزائر، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط2، 1997)، ص 38.

39-محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، (القاهرة، كتاب الهلال، العدد489، 1991)، ص 43.

40-أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل، مرجع سابق، ص47.

41-داريوش شايغان، النفس المبتورة: هاجس الغرب في مجتمعاتنا، (بيروت، لبنان، دار الساقي، ط1،1991)، ص 11.

42-موريس قودلييه، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدّول، ترجمة خليل أحمد خليل وغازي برو، (بيروت، لبنان، دار الفارابي، ط1، 2015)، ص16.

43-موريس قودلييه، الدّولة: سيرورة تشكلها، تنوع أشكالها وأسسها، (المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، المجلد XXXI، العدد الرابع)، ص ص 657.671.

44-موريس قودلييه، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدّول، مرجع سابق، ص48.

45- H.Lewis Morgan, Ancient Society, New York, Henry Holp, 1877, 123.

46-موريس قودلييه، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدّول، مرجع سابق ، ص34.

47-عزالدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب: إشكالية التعددية اللغوية، (بيروت،دار الشروق)، ص8.

48-لماذا لم يعد الأنقليز، على سبيل المثال، يضعون فروقا اجتماعية ذات أهمية بين الأنجلو ـ ساكسون والنورمانديين؟ ولماذا لم تعد هناك أيّة مظاهر للانشطار الاجتماعي أو تفرقة بين البروتستانت والكاثوليك في المجتمعات الغربية؟

لماذا لم تعترف تركيا بالأقلية الكردية (أتراك الجبل) وحضرت عليهم الحديث والكتابة والنشر باللغة الكردية؟ لماذا فقدت هذه الظاهرة قوتها وديناميتها في جميع هذه الدول والأمم إلا في أمتنا العربية؟

49-ابراهيم بيضون، الدّولة الأمويّة والمعارضة: مدخل إلى كتاب السيّطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فلوتن، (بيروت،المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، ط2،1985)، ص20.

50-نشير إلى أنّ هذا التقرير قد صدر باللغة الفرنسية.

51-حسب ما ورد على لسان إحدى الناشطات في الحركة الثقافية الأمازيغية في تونس السيدة "مها الجويني" فإن عدد الأمازيغ في تونس لا يتجاوز 500ألف نسمة، أي بنسبة تقدر بحوالي 5% من مجموع السكان في تونس، ولا يتحدث بهذه اللغة سوى 2% من هذه النسبة.(موقع أصوات مغاربية).

52- WWW.turess.com(01/11/2011).

53-يضم هذا المكوّن أكثر من 200 جمعية أمازيغية تنشط في مختلف المجالات، ولكن لهم مكتبين، إذ تم انتخاب "الوناس بلقاسم" رئيسا له في مؤتمره الذي عقد في مكناس بالمغرب في أكتوبر 2008، بينما يرأسه أيضا "رشيد رضا" اثر انتخابه في مدينة تيزي وزو بالجزائر.

54-جان بيار فرنان، الأسطورة والفكر عند اليونان: دراسة في علم النفس التاريخي، ترجمة جورج كتورة، (بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،2012)، ص 62.

55-علي أسعد وطفة، " بنية الوعي الطائفي: إشكاليّة الدّور الملتبس للمثقف؟"، مقال ألكتروني في موقع :مؤمنون بلا حدود للدرّاسات والنشر.

56-يعرّف حامد أبو زيد "الطائفية" باعتبارها " فعل تفتيتي، لا يتوقّف على ممارسة فعاليته عند نقطة محدّدة، قد تبدأ من نقطة ما، لكنها تنفجر ما لم تتم محاصرتها بأسرع وسيلة، أنظر كتابه: دوائر الخوف:قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1999، ص55.

57-طيب تيزيني، من ثلاثية الفساد إلى قضايا المجتمع المدني، (دمشق،دار جفرا للدراسات والنشر، ط2، 2002)، ص 19.

58-عزالدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب: إشكالية التعددية اللغوية، مرجع سابق، ص9.

59-عثمان سعدي، البربر عرب عاربة وعروبة الشمال أفريقي عبر التاريخ، (دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، نسخة ألكترونية، 1995)، ص7.

7. قائمة المراجع

1- أحمد نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل، الجزائر، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط2، 1997

2- الأبيض سالم ، الأقليّات البربرية في تونس، المركز العربي للدّراسات السياسية والاجتماعية، ط1،، أفريل 2011

3- الورتلاني الفضيل ، الجزائر الثّائرة، عين مليلة الجزائر، دار الهدى للطّباعة والنشر والتّوزيع، ط4،2007

4- المناصرة عزالدين ، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب: إشكالية التعددية اللغوية، بيروت،دار الشروق.

5- أوجيه مارك وجان كلاين بول ، الأنثربولوجيا، ترجمة جورج كتورة، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1،2008.

6- بحر سمير ، المدخل لدراسة الأقليّات، القاهرة، مصر مكتبة الأنجلو مصرية، ، ط1، 1982.
7- بلكا إلياس و حراز محمد ، إشكالية الهوية والتعدّد اللغوي في المغرب العربي: المغرب نموذجا، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1،، 2014
8- بن عبدالله الدّارودي سعيد ، حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيّين من خلال اللّسان، ظفار، سلطنة عمان منشورات فكر، ، ط1، 2012
9- بن نعمان يأحمد ، فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل، الجزائر، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط2، 1997.
10-بيضون ابراهيم ، الدّولة الأمويّة والمعارضة: مدخل إلى كتاب السيّطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فلوتن، بيروت،المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، ط1985،2
11-تبزيني طيب ، من ثلاثية الفساد إلى قضايا المجتمع المدني، دمشق،دار جفرا للدراسات والنشر، ط2، 2002.
12-تيد روبرت جار، أقّليات في خطر، القاهرة،مكتبة مدبولي، ط1995،1.
13-حدّاد سليم ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، بيروت ـ لبنان، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، 1986.
14-حسين حسنين أحمد ، "لغة التعليم وتأثيرها في الهوية العربية: دراسة ميدانية على عينة من الطلاب المصريين في ظل أنظمة تعليمية متباينة"، من اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، قطر، يوليو 2011
15-سعدي عثمان ، البربر عرب عاربة وعروبة الشمال أفريقي عبر التاريخ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، نسخة ألكترونية، 1995.
16-سعدي عثمان ، عروبة اللغة الأمازيغية وأيديولوجية النزعة البربرية الاستعمارية، موقع صحيفة "رأي اليوم" الألكترونية، تاريخ النشر 27 أكتوبر 2014.

17-شايغان داريوش ، النفس المبتورة: هاجس الغرب في مجتمعاتنا، بيروت، لبنان، دار الساقي، ط1991،1.
18-علي أزايكو صدقي ، "الإسلام والأمازيغ، أو البدايات الأولى لدخول بلاد الأمازيغ في المجال الإسلامي"، **الهوية**: من اجل ثقافة مغربية ديمقراطية، (الرباط، المغرب دار أبي رقراق للطباعة والنشر، العدد 15، يونيو 2002.
19-عمارة محمد ، الإسلام والأقّليات: الماضي والحاضر والمستقبل، القاهرة،مكتبة الشّروق الدولية، ط1، 2003.
20-عقون محمد العربي ، الأمازيغ عبر التاريخ: نظرة موجزة في الأصول والهوية، الرباط، المغرب، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،
21-غينون رينيه ، أزمة العالم الحديث، ترجمة عدنان نجيب الدين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط2016،1
22-فرنان جان بيار ، الأسطورة والفكر عند اليونان: دراسة في علم النفس التاريخي، ترجمة جورج كتورة، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2012،1.
23-قودلييه موريس ، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدّول، ترجمة خليل أحمد خليل وغازي برو، بيروت، لبنان، دار الفارابي، ط1، 2015، ص16.

24-قودلييه موريس ، الدّولة: سيرورة تشكلها، تنوع أشكالها وأسسها، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، المجلد XXXI، العدد الرابع.
25-كامب غابريل ، البربر: الذاكرة والهوية، ج1، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس ـ ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005
26-محمد مفتاح وأحمد بوحس (وآخرون)، المفاهيم: تكونها وسيرورتها، الدّار البيضاء، المغرب، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 87، جامعة محمد الخامس، مطبعة النّجاح الجديدة، ط1، 2000).
27-محمد شاكر محمود ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، (القاهرة، كتاب الهلال، العدد489، 1991)
28-مصباح محمد ، "الأمازيغيّة في المغرب: جدل الدّاخل والخارج، (قطر،سلسلة دراسة حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أكتوبر 2011). .
29-وطفة علي أسعد ، " بنية الوعي الطائفي: إشكالية الدور الملتبس للمثقف؟"، مقال ألكتروني منشور في موقع :**مؤمنون بلا حدود للدرّاسات والنشر**، تاريخ الاقتباس 2019/10/12.

30- The Encyclopaedia Britannia, Vol.8, 15th édition, 1994, p.169.
31- Cf. Stuart J. Kaufman, modern Hatreds: The Symbolic Politics of Ethnic War, (Comell University Press), Ihaca, 2001.
32- Cf. Michel Mafesollie, Le temps des tribus, Paris, La table ronde, 2è édition,2000.
33- H.Lewis Morgan, Ancient Society, New York, Henry Holp, 1877, 123.
34- Julien Chales-Audré, L'Afrique du Nord en marche, Tunis, Eds CEDES, 2001,
35- WWW.turess.com(01/11/2011).